

لماذا أكتب

مقال الثلاثاء 11 مايو 2010

ولماذا أسعي لنشر ما أكتبه بكل الوسائل الممكنة؟؟ , لماذا أزعجك برسائلي الإلكترونيه أحيانا؟؟ أنا لست كاتباً محترفاً , ولا أسعي إلي إحتراف الكتابه , البقاء في صفوف المواطنين العاديين والمدونيين الهواه يعطيك حق الكتابه بحرية مطلقه , ويمنحك مداخل كثيره للدخول إلي مناطق ممنوعه , ويرفع الحرج عنك , وهذا لا يقلل من أهمية الكتاب غير المحترفين , هؤلاء اللذين منحتهم الشبكة العنكبوتيه فرصة تاريخيه للتواجد والإنتشار.

إنتشار الكتابه مرتبط برفع القيود عن النشر , والعكس غير صحيح , لأنه في كل المجتمعات كانت توجد طوابير طويله ممن ينتظرون فرصة للكتابه , حتي جاءت ثورة الإتصالات ومنحتهم جميعاً وبالتساوي فرصة للكتابة والنشر.

رغم أنني لا أنتمي إلي حزب سياسي , ولا إلي جماعة دينية أو سياسية يستوجب الإلتناء إليها أن أكتب ترويجاً لأفكارها أو دفاعاً عن وجودها , إلا أنني مثل حضراتكم أنتمي للأمة بكل طوائفها , هذا الإلتناء يضعني في قلب معاركها , ورغم الهجره وسنوات السفر الطويله وقد حاولت خلالها أن أنسي أو أن أتجاهل مشاكلنا القوميه , أن أعيش كما يعيش الكثيرون للعمل والأسرة والذات , إكتشفت سريعاً أن محاولة التخفف من المسؤولية القوميه عبء لا تتحمله النفس , ولا تقبله الفطرة السليمه , إكتشفت أنني مرتبط بمصر والعروبة والإسلام إرتباطاً لا تفصمه هجره ولا ينقضه إنتماء آخر , في الولايات المتحده الأمريكيه أقارن كل يوم بين تقدم الغرب وتخلف الشرق , وأبحث عن الأسباب , رأيت أن تقدم الغرب ليس سحراً , وأن الغربيين ليسوا إلا بشراً مثلنا تماماً , لا تتميز عليهم ولا يتميزون علينا , من هنا أمنت بإمكانية النهضة كما لم أؤمن بها من قبل , تمنيت لو أنني لم أهاجر , ولم يرتبط رزقي ببلاد أخرى غير بلادي.

مع وصول الفضائيات العربيه إلي الولايات المتحده وإنتشارها تحولت حياتي وحياة ملايين العرب

في أمريكا إلي حالة فريدة من نوعها , أصبحت وكأني أعيش في مصر وأعمل في الولايات المتحدة , كل يوم أشاهد ما يشاهده المصريون في مصر وأشعر به مثلما يشعرون به , شاهدت حريق مجلس الشوري وأحداث غرق العبارة والإنهيار الصخري علي أهالي الدويقه مع كل المصريين وفي نفس اللحظة, تابعت من يطالبون بالحريه ومن يطالبون بضربهم بالرصاص. الغربية لا تحجبك عن وطنك إلا بالقدر الذي تسمح لها به , من هنا أنا مصري مثل كل المصريين أشعر بالحاجة إلي التغيير في مصر , وأحاول المشاركة بوسائلتي المتواضعة الكتابة من أجل التغيير هي أضعف الإيمان , والكتابة علي الشبكة العنكبوتية وسيلة من لا وسيلة له , ومع ذلك فإنها سلاح خطير في معركة الأمل من أجل النهضة, تزداد قوته يوما بعد يوم مع توافد مستخدمون جدد في العالم العربي ,قوة الكتابة تتوقف علي ما تحمله من أفكار وما تثيره من أسئلة , وعلي مدي قدرتها علي تغيير السلوك البشري.

الكتابة الجيده تحاول أن تنزع من عقلك مفهوما وتستبدله بمفهوم آخر , أو تحاول أن تؤكد إيمانك بفكرة تؤمن بها , أو تعيد ترتيب أولوياتك.

الكتابة الجيده تنزعك من خوفك , أو أنها تحاول تحقيق ذلك , تعطيك الحقيقه التي تمكنت من إتخاذ المواقف. لا أدعي أنني أقدم كتابة جيده , أو أنني أقدم كتابات مهمه , لكن للكتابة أهمية كبري بالنسبة لي ولما أومن به لعدة أسباب.

أولا : لو كان ما نكتبه تافها وساذجاً فإنه جنبا إلي جنب مع كتابات تافهة وساذجة أخرى يخلق رأيا عاما يرسل رسالة إيجابيه للشعوب , يرفع عنها الخجل والصمت , ويجلب لها الحركه , وينتج عنها حالة نفسيه جديده تمكنا من الإحساس بقدرتنا علي الفعل ثانيا : الكتابة المتواضعة طريق وحيد للكتابة الجيده , ومهما أمضي الكاتب من وقت في القراءة والدراسه فإنه لن يرتقي بمستوي كتاباته إلا عن طريق ممارسة الكتابة ثالثا : التعبير عن النفس بالكتابة , وتدوين مشاعر الرضا والسخط , حاجة إنسانيه لا غني للإنسان

المتحضر عنها , نحن لسنا قطيعا من الأغنام , يأخذ الراعي حملا منه للذبح أو للبيع , فلا يتذكره باقي أفراد القطيع ويستمررون في الرعي.

أعرف الإنسان بأنه حيوان له موقف, حيث أن الإنسان بلا موقف ليس إلا دابة تقضي عمرها بين تناول الطعام وإخراج ما تبقي منه , الإنسان الذي لا يتأثر بما يري ويسمع ليس له نصيب من الإنسانيه , ويكتسب الإنسان تمام أدميته عندما يتأثر بما يدور من حوله ويتفاعل معه بمحاولة التأثير العكسي, وتبلغ محاولة التأثير ذروتها بتدوين الموقف ونشر التدوين. ما زلت أتعجب من إخواني وأصدقائي المصريين إذ يتسائلون عن دوافعي للكتابة , أجيبهم هنا, إن التدوين والكتابة عادة مصريه , مارسها المصريون القدماء منذ آلاف السنين , سجلو كل التفاصيل البسيطة في حياتهم علي أقدم ما يملكون , جدران المعابد والمقابر, إن الكتابه في بعض حالاتها مثل التصوير الفوتوغرافي , هل يسأل أحدا أبأ يأخذ صورا فوتوغرافيه لأطفاله الصغار ويحتفظ بها , لماذا يفعل ذلك؟؟.

هذا سؤال غير جائز وغير لائق .

عندما نكتب عن أنفسنا , عن أسرنا , عن حارتنا , عن وطننا , أو عن أمتنا فإننا نطبع صورا فوتوغرافيه من منظورنا , نرسم لوحات عن حياتنا , وهذا حق طبيعي لكل البشر مثله مثل التنزه علي ضفاف الأنهار, والخروج إلي النزهه.

لا يجب أن يكون هناك دافع للكتابة , ومع ذلك فإن القراءة و الكتابة ضرورة فسيولوجيه للعقول كاملة النمو , وهناك حاجة عملية ماسه للكتابة لمواجهة الهجمه الشرسه التي تتعرض لها الأمه , ولتفنيد كل ما يدعيه كُتاب النفاق , وكل ما يروجه الطابور الخامس من الكتاب والإعلاميين المنبطحين علي بطونهم في إنتظار كبيرة الكبائر.

الان جاء الوقت للإجابة علي سؤال مهم , يعترضني عند كل منعطف يقف عنده مشبط من اليائسين القانطين من رحمة الله , يشكك دائما في جدوي الكتابه والدعوه إلي أفكار وأفعال من شأنها

التغيير نحو الأفضل , يؤكدون لنا مرارا أن عجلة التاريخ قد توقفت عند تخلف الأمة وسقوطها تحت سيطرة الديكتاتوريات الفاشله , وأنا سنبقي في ذيل الأمم إلي أبد الأبدین , يقولون حنانيك علي نفسك وفر وقتك ومجهود لا شيء يستحق الكتابة والإستنفار.

لهؤلاء نقول : إن الحركة طبيعة من طبائع الحياه , إن المجتمعات تتغير باستمرار , ولا توجد قوة قادرة علي تجميد حركة المجتمع, وقد تتحرك المجتمعات يمينا أو يسارا اعتمادا علي القوي التي توجه حركتها , هذا التوجيه ليس إلا بث الأفكار ونشر الحقائق والإمداد بالمعلومات الصحيحه وهو ما نطلق عليه عملية ثقافيه وفي قلبها تقع الكتابه وتمثل عمادها الرئيسي. شئنا أم أبينا سيتغير المجتمع , وستتغير طبيعة الدوله رغم أنها , إذا حدث هذا التغيير ونحن في حالة صمت , لن يكون لعقائدنا وأفكارنا وأنماط حياتنا نصيب في المجتمع القادم, سنفقد أرضنا وأولادنا للقوي التي دأبت علي الكلام بصوت مرتفع وبكلمات واضحة ومفهومه. الصمت يخرجنا من دائرة التأثير , يمحو أثارنا, يجعلنا إمعات لا قيمة لها , ما قيمة الطبيب البارع إذا خاف أن يُسدي نصيحته الطبيه , وما فائدة المهندسين الذين صمتوا عن مخططات غير صالحة لبناء جسور سقطت في النهر وغرق كل من كانو يمرون من فوقها. هل تؤثر كتاباتنا؟؟ نعم تؤثر بالتأكيد, إذا كانت مثابرة وصابره , وإذا كانت مستمرة وغير منقطعه , وإذا كانت موجهة إلي وجهه معلومه ومحدده , وإذا كانت صادقة و تحترم العقول. أنت تقوم بعمل عظيم عندما تتبني قضية قوميه وتكتب عنها ولها, وعندما تدافع عن مصالح الأمة , ولأن الغاية عظيمه فإن ما تطلبه من مجهود ووقت لا بد وأن يكون كثيرا ووافيا. في صناعة التأمين قد ترسل شركة التأمين 200 إعلان إلي 200 شخص تدعوهم لشراء نوع ما من أنواع التأمين , فإذا إستجاب شخصان للإعلانات يعتبرون ذلك نجاحا باهرا ويستمررون في إرسال الإعلانات لمن لم يستجيبوا.

في صناعة الوجبات السريعه وفضائل البييتزا , تمطر الشركات العامله في هذا المجال زبائنها بالإعلانات صباحا ومساءً لترويج وجبات لا يتعدى سعرها بضعة دولارات , عندما يأتي طلبين لمحل بييتزا من شارع وزعو فيه مئات الإعلانات يعتبرون ذلك نجاحا حققته حملتهم الدعائيه.

فما بالك إذا كنت تروج لفكرة كبري, لعقيدة أمة كبيره , وإذا كانت سلعتك نهضة الأمة , ووحدها وعزتها.

هل كان هناك من يتوقع عشية البعثة النبويه الشريفه أن عرب الجاهليه سيقتنقون دينا يدعو لتحرير العبيد ويحرم الخمر وقتل الإناث , لقد صنع الرسول الأعظم أمة كبري معتمدا علي كتاب أوحى إليه من رب العالمين , مازال القرآن في إيدينا ومازال لكلماته نفس القوه والقدرة علي التأثير , ولكن ينقصنا التبليغ الدؤوب والشرح الجميل .

ليكن نوح عليه السلام مثلنا الأعلى وقدوتنا , إذ يخبرنا القرآن الكريم أنه قد واظب علي دعوة قومه ألف سنة إلا خمسين ولم يؤمن بدعوته إلا قليل , ومع ذلك لم يتوقف ولم ييأس ولم يخامرہ شك في جدوي ما يقوم به.

يعجبني أتباع ديانة شهود يهوه المسيحيين , يطرقون أبواب الناس في الولايات المتحده ويتعرضون للسب والشتائم في معظم الأحيان ولا يتوقفون عن محاولة الدعوه إلي عقيدتهم , يطرقون باب بيتي كل أسبوع , أرحب بهم وأستمع إلي ما يطرحونه من عقائد أري أنها ساذجه وغير منطقيه , أفندھا لهم وأحدثهم عن الإسلام وأدعوهم إليه , ومع علمهم أنني مسلم غير قابل للتحويل إلي دينهم لم يتوقفوا عن إرسال مندوبين مختلفين إلي بيتي كل أسبوع لمدة زادت عن سبع سنوات , في وقت ما , مللت منهم , لكنني توقفت مع نفسي وقلت لها , إنهم لم يملوا من دعوتي إلي المسيحيه وعليه يجب ألا يصيبني الملل من دعوتهم إلي الإسلام , إن أحدا منهم لم يتحول للإسلام , لكنهم جميعا تعلموا شيئا عنه واستفسرو عن أمور فيه وتحسنت صورته لديهم.

الخلاصه

أصر علي الكتابه لأنها وسيلة مهمه للتغيير, وأدعوك إلي الكتابه فيما تراه مهما , إن نهضة أمتنا لن تحدث صدفة , و حدوثها مرتبط بمدى ما نبذله من جهد صادق.

الثلاثاء 11 مايو 2010

د.أحمد خفاجي

ahkhafagy@yahoo.com

الحكومة مكون رئيسي من مكونات الدولة , نستطيع أن نقول أنه لا توجد دولة بدون الحكومة , إنها لازم من لوازم التحضر وضرورة من ضرورات الحياة , بدونها لا يمكن تحديد ماهية الوطن ويصبح القانون بلا معني , في الحكومة تتجسد الإرادة التنفيذية للأمم , ويتحدد ضعفها أو قوتها , وعليه فإنه من المهم لكل المشتغلين بالشأن العام أن يهتمو بفهم طبيعة الحكومة كمؤسسة سياسية وأن يعملو دائما علي بقائها وإستمرارية وجودها وإلا وقعت كارثة الدولة الفاشله التي مازلنا نشاهد فصولها المؤسفة في الصومال.

وعلي الجانب الآخر , فإن الحكومة شر لا بد منه , نحتاج إلي تذكر هذه المقوله كلما أردنا بحث العلاقة بين الحاكم والمحكوم وكلما أردنا البحث عن طريق للنهضة. لا أعني بهذه المقوله الحكومات العربيه فقط , إنما أعني بها الحكومة أينما وجدت ومهما كانت عادلة أو ناحجة في إدارة شئون الدولة , أعني بها الحكومة التي تحكم بشرع الله والحكومة العلمانيه , وأعني بها الحكومات الملكييه والحكومات الجمهوريه علي حد سواء , وأعني بها الحكومات التي جاءت بإنتخابات نزيهه والحكومات التي وصلت للحكم بالسرقة أو بالتزوير. الحكومة شخصية إعتبارية تنحدر إلي الظلم بسهولة , لأنها لا تستطيع الرؤيه والتمييز أحيانا , فهي تعتمد في رؤيتها للواقع علي تقارير بيروقراطيه قد تكون كاذبة أو ملفقه , وقد يكون لكتابها مصلحة شخصية في ذلك.

تميل الحكومة للشر بطبيعتها لأنها مؤسسة قويه تستطيع ممارسة الظلم دون أن يكون لذلك عواقب وخيمة عليها.

تعتبر الحكومه أكثر مؤسسات المجتمع قابلية للفساد والإفساد , ولست في حاجة إلي شرح ذلك والبرهنة عليه إذ يكفي إلقاء نظرة علي تاريخ البشريه للتيقن من هذه الحقيقه. إن حقيقة الطبيعه الفاسده للحكومه تمكنا من فهم وتبرير فترات مظلمه في تاريخنا العربي , وخاصة تلك الفترة الفاصله بين الخلافة الراشده وإمبراطورية بني أميه , والتي قُتل فيها الحسين رضي الله عنه , والتي كانت صراعا بين حكومة ملكيه (ذات ميول طبيعيه للعدوان) وبين أمة المسلمين التي لم تمنحها الظروف التاريخيه أدوات المقاومه الفعاله , مما أدى إلي خسارة المعركه وفقدان الخلافه الراشده والإنزلاق إلي مسلسل التوريث البغيض الذي كان الإسلام قد ألغاه بعدما كان قاعدة في كل حكومات هذا العصر.

أنبه إلي أنني لا أدعي أن كل الحكومات فاسده , في تاريخ البشريه حكومات عادله ولكنها سرعان ما تتحول إلي حكومات فاسده إذا ثركت وشأنها.

فساد الحكومات وترهلها هو السبب الرئيسي لسقوط منظومة البلدان الشيوعيه لأن من نظرو للفكر الماركسي , وطرحو فكرة ديكتاتورية البروليتاريا , لم يدركو أن وصول البروليتاريا للسلطه يحولها إلي حكومه لها خصائص تختلف عن خصائص الطبقة العامله. الفكرة التي أطرحها عن تغير خصائص العمال وأفراد الشعب حال وصولهم للسلطه تفند نظرية اللجان الشعبيه في الكتاب الأخضر التي يطرحها العقيد القذافي في ليبيا , وإن كان بقائه الممل في السلطه قد دحض كل هذه الأفكار منذ سنوات طويله. أدق بهذه الفكره أجراس الخطر في أذن الإسلاميين ممن يتخيلون أنه بوصول الحاكم التقني إلي الحكم تتحقق العدالة , اقول لهم إن تحقق العدالة (إن تحققت) علي أيدي الحاكم المسلم الورع لن يلبث أن ينتكس إذا إعتمدنا علي تقوي الحاكم وورعه , ولم تكن هناك أدوات ونظم تمنعه من الإنحراف.

علينا أن نستفيد من إغتيال التجربه الناصريه في مصر علي يد أحد قاداتها (الرئيس أنور السادات) أنه لا يمكن إغفال العين عن الحكومه مهما كانت معبرة عن طموحنا الشخصي والقومي .

هناك تاريخ مدون للإنتقال والثوره ضد الحكومه , ولكن تواريخ إنتقالات الحكومات علي شعوبها لم يحظي بالتدقيق والتعريف الكافي , بل إنها تمر دون أن يضع المؤرخون نقاطا فوقها. الحكومات في كل الدنيا تتوجس خوفا من شعوبها وتعد العدة لذلك ببناء مؤسسات أمنيّه وإستخباريه , ولكن الشعوب الخامله لا تعد العدة للإنتقال الحكومه عليها , ولا تجهز نفسها للحظة التي ينقض فيها الحاكم عهوده التي قطعها علي نفسه عندما تولي الحكم , أو تلك التي يلزمه بها الدستور ومصالح الوطن العليا.

إن مسلسل التغيير التقدمي ثم الإنتكاس للرجعيه مرة أخرى لم يعد مقبولا , لقد عانينا منه طويلا ومازلنا نعاني , وعلينا إذن التيقن من قابلية المؤسسه الحاكمه للفساد والحيلوله دون حدوثه بصنع الأدوات والمؤسسات القادره علي حراسة المصلحه الوطنيّه وحماية الحكومه من الفساد والمفسدين وهذا ما سوف أحاول مناقشته في المرة القادمه.

د.أحمد خفاجي

ahkhafagy@yahoo.com